

اجتهادات من يخون الدم؟

إذا أردنا أن نتبين معنى ما فى أحاديث مسئولين وخبراء إسرائيليين وأمريكيين عن خطط اليوم التالى لوقف الإجرام فى غزة، وسط الفوضى الغالبة فى خطاباتهم، ربما نلحظ خيطاً يربطها. فهم يبحثون، كل بطريقته، عن قد يقبلون توظيفهم فى مشاريع استعمارية جديدة، ويرتضون أن يخونوا كل هذا الدم الذى أريق ومازال فى غزة.

الدم فى غزة أكثر من الماء. يُحيط من كل جهة بالفلستينيين الذين لا يجدون شربة ماء نقي. وفى أمثالنا الشعبية التى تُعبرُ عن حكمة الزمن، لا يصبحُ الدمُ ماءً مهما يكن الخلافُ بين الأهل. ولهذا ستفشل أي خطط تُبنى على افتراض وجود فلسطينيين يمكن أن يخونوا دماء أهلهم وتضحيات شعبهم.

يريد الإسرائيليون سلطة مدنية شكلية لإضفاء الشرعية على إعادة احتلال القطاع، بافتراض أن فى إمكانهم الإجهاز على المقاومة التى لم تعد فصيلاً واحداً أو اثنين، بعد أن التحق الموجودون فى غزة من شباب فصائل أخرى بالقتال، سواء من الجبهتين الشعبية والديمقراطية أو من بقوا فى كتائب

شهداء الأقصى، وهم ليسوا قليلين. سيكتشفون أنهم يجرون وراء سراب. ليس في غزة الآن أعيانٌ مثل من جاءوا بهم لتشكيل «روابط القرى» في الضفة أوائل الثمانينيات. أكثر من 80% من أهلها الآن هم أبناء جيل النكبة 1948 الذين جاء منهم، ويجيء، قادة وكوادر الفصائل كلها من فتح إلى حماس.

أما الأمريكيون فيتحدثون عن تغيير في السلطة الفلسطينية. يريدون استبدال رئيسها لعلمهم أنه لا يمكنه أداء الدور المطلوب في غزة، وهو الذي مازالت روح الوطنية الفلسطينية التي نشأ عليها في داخله رغم كل شيء. ربما يجد الصهاينة قياديا سهل نظريًا تصعيده ليكون بديلاً. ولكن الوضع اليوم غيره بالأمس. ومن كان مستعدًا للذهاب معهم إلى أبعد مدى قبل المجازر الدموية قد لا يبقى كذلك بعدها. كما أن في السلطة الفلسطينية من يمكن أن يتصدوا رغم كل الاختلالات في تركيبها وأدائها. ولهذا لا ينبئ ما يمكن تبيينه من خطط إسرائيلية وأمريكية إلا بصراعات أكثر حدة، وأخطار أشد هولاً في منطقة لن تستقر دون حل عادل لقضية فلسطين.

